

وزارة التربية / مديرية تربية نينوى الهوية العراقية

— بحث في سوسيولوجية مجتمع اهلي مدني / في ظل صناعة الإكراه

محافظة نينوى انموذجا

حسن جاسم راشد

جامعة الموصل كلية الاداب

(قدم للنشر في ٣١ / ١٠ / ٢٠١٢ ، قبل للنشر في ٧ / ٣ / ٢٠١٣)

ملخص البحث:

عاشت العراقية كهوية مدنية/اهلية قبل وبعد احتلال العراق (سنة ٢٠٠٣) وبعد ذلك وليومنا هذا محاولات للتدمير المادي والتفكيك المؤسساتي والتمزيق الثقافي غاية في اللا عمران واللا تعايش واللا استمرارية.

وهذا يعني في احدى اهم ركائز الاحتلال دعوة الى سحب الهوية واضفاء الشتات على التلويينات الاجتماعية الاصلية كغاية في السيطرة على المجتمع العراقي ، بالمقابل شكلت العديد من سمات هذا المجتمع عقبات مضادة تجاه مثل هذه السياسات والسلوكيات وفي مقدمة هذه السمات (الثقافة) ومن خلال صورها المتنوعة وعناصرها المتعددة التكوين ومنها الثقافة الاهلية / المدنية كردة فعل ازاء الاحتلال وتحدياته، كما يمكن القول بان فاعلية الثقافة / الاهلية المدنية كانت ابعد من هذا في الفعل اذ شكلت المنطلق الاساس والميكانيزم الاجتماعي سبيلا نحو التحرر ذلك لما لها من تاثير فعال وفاعل في البناء الاجتماعي العراقي ورفض كل ما جاء به الاحتلال من ثقافات شكلية .

لذا كان الوقوف المجدي امام مثل هذه الافعال والظروف يستوجب الاخذ بنقاط قوتها وضعفها على حد سواء والتي حددت بالثقافة الاهلية/ المدنية اساساً لنجاحها من عدمها ، وعليه فان التاكيد على هذه الثقافة العراقية وتاصيلها وتقويمها هي الطريق الانجع والاسلم ، لاسباب كثيرة لعل في مقدمتها فاعليتها عراقياً وهي في الوقت نفسه تمثل نقطة الضعف الواردة في مثل هذه الظروف - وعوامل اخرى ، وعليه :

لابد من العودة الى الماضي وبشكل ليس كلياً بل جزئياً والاخذ بالمفيد منها وحسب متطلبات الواقع، وتقوية قنوات واليات واساليب تنشئتها والمتمثلة (كأنموذج) بـ

الجانب القيمي --- الديني ----- تعاليم المؤسسة الدينية، جامع/كنيسة

الجانب العرفي ---- عادات وتقاليد ----- تعاليم المؤسسة الاسرية / البيت/ محلة/ المجتمع المحلي / العشيرة .

الجانب المادي ---- المهنية ----- تعاليم المؤسسة الاقتصادية/ السوق/ الصنف/ كازينو الصنف

المؤثرات الرسمية ----- التربوية ----- والعقيدية / العسكرية

وهذه الركائز الاجتماعية بالبناء والياتها هي جامعة وساحة اجتماعية تذوب فيها كل التكوينات الاجتماعية الاولى وبهذه الاليات المتاحة وبشكلها الطبيعي في تركيبته البنائية مع مادته الثقافية الغنية بآرثه الحضاري فان العراقية سيدعم بوجوده كعمران بشري واجتماع انساني .

Iraqi identity

Search in sociological civil society / my family under duress industry Nineveh province, a model

Hassan Jassim Rashid

University of mosul / College of art / Dept. of sociology

Abstract:

Research Summary

Iraqi lived as a civil / civil identity before and after finishing (2003) To this day attempts to destroy the physical and institutional dismantling and very cultural shredding in no Imran and no coexistence and non-continuity. This means in one of the most important pillars invitation to pull identity and bring Diaspora Altheloinat Social original very in control of the community, in turn formed many features of this community obstacles counter to such policies and behaviors among these features culture and through pictures and diverse elements multiple configuration including culture civil / Civil Besides feeling and raising the slogan of liberation reaction about the occupation and its challenges, as it can be said that culture / civil Civil effectiveness was further than this in the act as it formed the basic premise Almikanzmi social path toward liberation that because of their influence effectively and actively in the social structure of Iraq and refused to everything the formal occupation of cultures, fragile, and barbaric, and Tstatah So stand worthwhile in front of such acts and circumstances cessitates taking points strengths and weaknesses both identified culture civil / civil foundation for success or not, so the invitation to assert these Iraqi culture and Tasilha and straightened is the way most effective and safest, for many reasons, perhaps in the forefront of effective Iraqi It is at the same time weak point in such circumstances - and other factors, and therefore: Must return to the past and not completely, but partly taking Bamufad and according to the demands of reality, and strengthen the mechanisms and channels methods and represented (as a model) Religious moral side --- ----- teachings of the religious establishment, mosque / church Customary side ---- customs and traditions ---- teachings Family Foundation / home / locality / village Occupational physical side ---- ----- teachings economic / market / product / casino product Official effects ----- Educational ----- doctrinal and military These pillars of social construction and its mechanisms are University Square and social melt where all configurations social aid and these mechanisms are available and form natural composition constructivism with Article rich cultural Barth civilization, the Iraqi will support its existence Kaamran human and sense of social civilization and strengthen sustainability and What Happens to the future as a community my family / civil top position and Tsampa In the spirit of humanitarian configured and interconnected human formative for which we now call: - (Iraqi society needs to be dialogue between nationalities and peaceful coexistence, etc.)

مقدمة :-

إن من إحدى أهم سلوكيات الاحتلال تعميق سياساته داخل العراق ودعوة إلى سحب الهوية العراقية وإضفاء الطابع البدائي إليها وخاصة الاجتماعية منها غاية في الشتات الثقافي وارجاع السلوكيات المتقدمة في التراكيب المدنية الأهلية إلى اصل تشكلاتها الضعيفة من سمات المدنية وسمات الأهلية القائمة على اللاتجانس الاجتماعي في الهوية الوطنية / العراقية والهوية المحلية / نينوى حتى تسهل السيطرة عليها وتبقى في دوامة الانشغال الذاتي وبالتالي الضعف في البناء والوظيفة الاجتماعية .

بالمقابل فإن سمات مجتمعنا العراقي / ومنها سمات مجتمع نينوى كنموذج للهوية العراقية شكلت عقبات مضادة تجاه مثل هكذا سياسات وسلوكيات، وفي مقدمة هذه السمات الثقافة العراقية من خلال صوره المتنوعة وعناصره المتعددة في التكوين إلى جانب الشعور ورفع شعار الوحدة والتحرر كردة فعل إزاء كل ما يواجه المجتمع العراقي من تحديات بسبب الاحتلال وأثارها الآنية والبعيدة في المدى ، ويمكن القول بأن الثقافة الأهلية والمدنية في فاعليتها كانت أبعد من هذا في الفعل إذ شكلت المنطلق الأساس لميكانيزمات داخلية ((الدوافع الداخلية نحو تغيير الحالة غير المقبولة)) اجتماعياً سبيلاً نحو التماسك الاجتماعي والتحرر من السياسات المفروضة على المجتمع مثل تفكيك النسيج الاجتماعي الثقافي، الفيدرالية ، تعطيل السوق وتحويلها من منتج إلى مستهلك ، والدستور الدائمي الجدل ... الخ . وعليه :-

إن التأكيد على العراقية كهوية وثقافة جامعة لا بد منها ذلك من خلال العودة إلى الماضي وبشكل ليس كلي بل جزئي لأخذ المفيد من جزء وتجاوز الأخطاء من جزء آخر وحسب متطلبات الواقع العراقي الاجتماعي الثقافي الآن، حيث الارتكاز على أسس ثابتة في بنائه المجتمعي مثل الجامع / المسجد / الكنيسة كقيم اجتماعية ، المحلة والأسرة كأسس اجتماعية ، والسوق كأساس مهني جامع لكل المتنوع . هذه نماذج من مرتكزات عديدة قد ترسخت في بناءه المنتج للثقافة الجامعة للأكبر (العراقية) من التكوينات الاولى (التراكيب الاثنية والطائفية والقومية) لاسيما غير المتجانس والذي على الأغلب يقصد فيه صناعة الإشكالات، منها محافظات عراقية غير متجانسة مثل ديالى / كركوك / الموصل / .

١ - إشكالية البحث

((كل من يسيطر على مدينة حرة لا يقوم بتهديمها ، يتعرض هو للدمار منها ، لأنها ستجد دائماً الحافز على العصيان باسم الحرية وأعرافها القديمة التي لا يسدل الزمن عليها سجف

النسيان ، ولا تلحق بها المنافع الجديدة، الإهمال، والتغاضي ، ومهما عمل الحاكم الجديد فإنه لا يستطيع أن ينسي أهله أسم مدينتهم أو أعرافها ، إلا إذا مزقهم شر ممزق وفرقهم في كل صقيع^(١) .

على غرار ما تحتويه الوصية الميكافيلية أعلاه من مضامين وسلوكيات مأكرة وخداعة ولعبة سياسية عاشت العراقية ومنها نينوى قبل وبعد أن أحتل ((سنة ٢٠٠٣م)) من إشكاليات منها :-

التدمير المادي والتفكيك المؤسساتي الرسمي وغير الرسمي والتمزيق الثقافي غاية في اللاعمران واللاعيش والاستمرارية . إنها إشكالية صناعة العراق من جديد وعلى الغرار الأمريكي البريطاني . إن هذه المحاولة الاتباعية وفي كل نواحيه إنما تحتاج إلى مطاوعة مجتمعه ((الأهلي / المدني)) وإرجاعه إلى الوراء ، ذلك من خلال العديد من الممارسات القسرية المصطنعة وبشتى الوسائل وبطرق متنوعة على الأرض ونتاجه الاقتصادي، ومن خلال المجتمع وثقافته، وصولاً إلى السلطة وسياساتها ذلك من خلال ممارسات مخطط لها مسبقاً من خلال صناعتها من جديد بعد تفكيكها ووضع حدود مصطنعة بين مكوناتها الاجتماعية ومحاولة قوقعتها إلى نفسها والإيحاء إليها وبشكل أنها تكتشف نفسها من جديد، بذلك :-

فإن نوعاً من الذات الاجتماعية الضيقة (الآنا) صنعت في الوجود بين التكوينات الاجتماعية العراقية التي كانت العراقية هي الأنا لهم جميعاً على المستوى الوطني، والأنا على المستوى المحلي / بصراوي - عمارتلي - بغدادي - موصللي - كركوكلي - الخ ... وفي إطار هذه التكوينات تحاول الاجندة الخارجية التشتيتية صناعة الذات القومية / الآنية / الطائفية الجديدة . حيث الأنا والآخر فيها .

إنها محاولة لإيجاد الحدود بين هذه التكوينات الاجتماعية والتصعيد من مستواه إلى حد الإكراه وهذه على غرار الصناعة الأمريكية كصناعة الموت .. صناعة القرار .. صناعة الذات .. صناعة الإكراه تلكم إشكالية سياسية مفروضة في ظل لا إشكالية اجتماعية عراقية.

٢ - الأهمية :

تتجلى أهمية هذا البحث من خلال الوقوف وبشكل جدي ومجدي أمام هذه الأفعال السياسية التي يقوم بها الاحتلال الأمريكي في العراق (ومنها نينوى كأنموذج عراقي) يستوجب فهم وأدراك ماهية السياسات هذه وتحديد نقاط القوة والضعف فيها على حد سواء ، بالمقابل من

المهم معرفة إمكانية مجتمعنا وقوته كرد فعل إزاء مثل هكذا سياسات همجية ، ويمكن القول بأن الثقافة الاجتماعية المدنية الأهلية هي إحدى العوامل المهمة في نجاح المجتمع العراقي في تجاوز مرحلته الصعبة هذه كونها صعبة التغيير مقابل تأكيد الاحتلال وكالفكرة الميكافيلية على الثقافة هذه . وعليه :

فإن الدعوة ضرورية إلى التأكيد على الثقافة العراقية وتقويمها كنسق أساس ومهم في تماسك البناء الاجتماعي العراقي وما تنتجه المؤسسات الاجتماعية من ثقافات خاصة بها هي الطريق الأنجع والأسلم ذلك لأسباب كثيرة لعل في مقدمتها فاعليتها عراقيا ومحليا علماً أن أغلب المشاكل العالقة في أعلى الهرم التنظيمي (المؤسسة السياسية وتوزيع الوزارات على أساس تحاصصي) هي ذات طابع ثقافي اثني / طائفي خاصة في البنية السياسية العراقية بعد (سنة ٢٠٠٣م) ، وبشكل يحاول بعض من مارسوا هذه السياسة سحبها على المجتمع من حيث يدرون أو لا يدرون وعلى الطريقة الميكافيلية أعلاه .

٣- الأهداف :

يسعى البحث إلى تحقيق أهداف ، منها محاولة متواضعة لعرض صورة مجتمع أهلي / مدني تعرض إلى محاولة اغتيال في ثقافته الأهلية المدنية الجامعة لتحل محلها الثقافة التمحورية الاجتماعية تاركة خلفها العراقية / كثقافة عامة / وبنوى كثقافة إقليمية ، إنها محاولة متواضعة في طرح الصورة الإيجابية المضيئة في هذا المجال ومحاولة تقوية قنواته وأساليب إنتاجه ، محلياً / أهلياً ووطنياً/عراقياً كمجتمع مدني جامع وتشمل الجانب القيمي ، الجانب العرفي ، الجانب المادي ، وجوانب أخرى لاجمال لذكرها وحصرها مثل الجانب الاداري التكنوقراطي والجانب التربوي الرسمي والجانب العقائدي والجانب الرمزي من الثقافة والواقع الاجتماعي الديموغرافي وسنختار الثلاثة الاولى كونها الاقرب الى المجتمع .

٤- منظور مفهومي

أ- الهوية :-

((في التفلسف العربي اللغوي هي الشخص ، الشخص نفسه والوجود الخارج :- وهي وحدة الكائن المطلق مع ذاته ، الهوية هي ماهية نسبية بالمقارنة مع هوية الذات الإلهية التي ليس لمثلها شيء . في المنطق مبدأ الهوية يعني المثلية ويرادف مبدأ اللاتناقض . فلسفياً :- الهوية لحظة من لحظات الصيرورة الوجودية ، الوجود لحظات هاربة وهذا أساس فلسفة الصيرورة عند هيراقليطس وهيكل وأن ماركس يأسس الهوية على المادة والمادية))^(٢) .

كما ينظر إلى الهوية على أنها :- تلك الأفكار والمواقف والتجارب التي يبتكرها الإنسان ويحددها مساراً لممارساته اليومية وهي نتاج فردي معرفي يتحول عبر صيغ التعاون والتواصل والاحتكام إلى تجانس لا حدود له . وله وعي جماعي أو وعي منظم اديولوجي^(٣).

وهذا يقودنا إلى مجال تخصصنا وهي

العلوم الاجتماعية إذ :- تنظر إلى الهوية على أنها مفهوم داخلي تعكس معطيات خارجية ، فهي إدراك الفرد نفسياً لذاته وصولاً إلى الهوية الاجتماعية والثقافية والعرقية ، كلها مصطلحات تشير إلى توحيد الذات مع وضع اجتماعي معين أو مع تراث اجتماعي معين . وتنطوي على خاصية ثابتة ومستمرة للفرد والجماعة^(٤).

وعليه ينظر إلى الهوية الوطنية / العراقية على أنها واحدة من المفاهيم المطلوبة على الصعيد الاجتماعي العراقي العام وتواجه مشكلات كثيرة ومتنوعة - وتعريفها كثيرة ولا يمكن احصائها وتحديدها مثل العراقية السياسية ، والعراقية الإدارية والعراقية الجغرافية إلى جانب عدم وجودها في القواميس وعليه فالمقصود بالعراقية كهوية في وقتنا هذا:

هي الذات الاجتماعية العامة المتأطرة بحدود حضارية عميقة المغزى في تاريخه الرافديني ذي التكوين المتنوع اجتماعياً وثقافياً وبشكل متنوع في التراكمات ومن دون إشكاليات، وتراكمية الاجتماعية في أزمة وهي الاقرب صناعةً إلى التكوينات الأولية كبديل عن الأخريات الجامعة ، مثل التكوين الديموغرافي ، الإداري الاقتصادي .

إن العراقية كثقافة اجتماعية وهوية وطنية يقابله على المستوى الأقل وكأنموذج مقارب هي هوية نينوى ؛ وهي الهوية والذات المحلية في إطار محدد وهي الهوية العراقية إدارة وسياسة واقتصاداً واجتماعياً مدينه أهلية ، وهي الوريثة الشرعية لاشور حضاريا، وفعلها اليوم في أدنى حالات انحساره سياسياً اقتصادياً مهنياً رسمياً كانحسار دجلته، الواسع جغرافياً وديمغرافياً الفاعل اجتماعياً واهلياً ، مدنيا مهنياً .

ب - المجتمع :-

المجتمع ميدان الأفعال السياسية والاقتصادية والقانونية ... الخ الاجتماعية / الأهلية المدنية وبشكل تجريدي هو :-

اسم نوع يطلق على مجاميع الجماعات البشرية المستوطنة في نطاق جغرافي وقومي محدد يكاد يضارع المتحد الوطني لأمة ، الكيان السياسي لدولة^(٥) .

أنه تعريف تجريدي ذي طابع شمولي ونظرة من الخارج يشير في النطاق الجغرافي والسياسي والقومي الطابع .

والمجتمع أيضاً بصفة عامة يعني وحسب تعريف معجم المصطلحات الاجتماعية بأنه :-
(جماعة بشرية كبيرة العدد نسبياً ومستقلة نسبياً ولدى أفرادها القدرة على الاستمرار من الوجهة السكانية ، كما ويتسم بقدر من الاستقلالية في تنظيم العلاقات الاجتماعية) (٦) .

بناءً على ما تقدم يمكن تحديد تعريف المجتمع العراقي على انه :-

مجتمع عام فيه مجتمعات محلية ، له حدوده الجغرافية والسياسية وتكوينه من نسيج معقد من التراكيب الاجتماعية المتفاعلة مع بعضها البعض يشترك أفرادها بمقومات أساسية مثل الأرض ، الثقافة، الهوية ، الحضارة الواحدة ومصير مشترك واحد ذي طابع أهلي /مدني.

أما مجتمع نينوى :- أحد المجتمعات المحلية ذو الطابع الجغرافي الاقتصادي السكاني المتنوعي اللاتجانسي والواسعة الأطر له عمق في الوجود الحضاري والاجتماعي الأهلي .

ج - المجتمع المدني :-

انبثق المفهوم في القرن الثامن عشر كنتيجة وبشكل مواز لظهور البرجوازية والصناعة والتجارة، وتم إحيائه فكرياً وممارساً في فترة عصر التنوير وكان مرادفاً للمجتمع المحلي (٧) .

وقد كثر تعارفه وتنوع طبقاً للحقبة الزمنية والحدث الاجتماعي . يعرف المجتمع المدني على أنه المجتمع الرافض فكرياً وثقافياً ومعرفياً لشرعية القوة والاحتكار للسلطة أو استبدادها في نواحي الحياة العامة ، وليس من حق السلطة أيأ كانت شرعيتها ، بالمقابل هي (السلطة / الحكومة) مؤسسة رسمياً تؤدي خدماتها ، وتقسم هذه السلطة الإدارية بينها وبين مؤسسات المجتمع المدني والأهلي (٨) .

كما يعرف المجتمع المدني بأنه تلك الفئة أو الكتلة الاجتماعية التي يفترض أن يتوفر فيها مقدار من التجانس وتقع في منزلة بين منزلتين المجتمع الاهلي والمجتمع السياسي ، ويراد منه الإشارة إلى تلك الحلقة الوسيطة التي تحقق التوازن الضروري بين طرفي المعادلة هما السلطة والمجتمع (٩) .

وإلى ما تقدم وحسب متطلبات بحثنا فإن مجتمع المدني هو :-

تلك التنظيمات المنبثقة من رحم المجتمع العام (العراقي) أو المحلي (نينوى) والتي لا تتبع ولا ترتبط بالسلطة ، كما لا تتبع عائلة أو فئة اجتماعية أو حزب ولا تبغي الربحية أو الأهداف الفردية ، ولها ثقافتها الجامعة للمتنوع الثقافي والاجتماعي .

د - المجتمع الأهلي :-

مصطلح يشير عن قرب من المجتمع المحلي في التنظيم اختلف الباحثون في تعريفه

أنه الإشارة الى :- جملة المؤسسات الاجتماعية الموروثة عن تاريخ مضي ، والمستمرة في تنظيم الممارسات وأفعال الافراد في الحاضر ، ويندرج في بابها حالة من العلاقة بالمؤسسات والأطر العصبوية والطائفية والمذهبية والعائلية والمناطقية (١٠) .

أو انها :- الوحدات والتنظيمات الاجتماعية الطبيعية النابعة من صميم ثقافة المجتمع والذي يرى أفراده الانتماء إليها واجب خلقياً ومتطلباً حياتياً ، والتي يعززها التعامل الشخصي وجها لوجه في الوقت الذي تغلب عليه العلاقات الأولية (١١) .

هـ - لمحة تاريخية سريعة في صناعة الإكراه .

في بنائه الاجتماعي عاش المجتمع العراقي وبشكله الطبيعي وان شابت في بعض لحظات تاريخه الاجتماعي بعض من الأحداث الاختلافية / سياسية / اقتصادية مع هذا فإن هذه الاحداث لم تكن دوافعه منطلقة من داخل تركيبته البنائية إنما كانت منطلقة من دوافع مصلحة على مستوى فرد وجماعات طارئة واحزاب سياسية خاصة ذات الافكار غير المعبرة عن ثقافة المجتمع العراقي ، وهذه شكلت جزءاً من تحدياته وازماته (مشكلة المجتمع العراقي مع السلطة الحاكمة) وكان يتجاوزها دائماً بفعل تماسك بناء المنطلق بالأساس من ثقافته وهويته الأهلية وبانتمائه إلى هذه الأرض .

وفي تاريخ دولته الحديثة ومذ تشكلها في بدايات القرن العشرين لم يشهد العراق أية هزة ولا أية تحديات من هذا القبيل وإن حاولت السياسات المهيمنة الخارجية ((الاستعمار البريطاني)) دب الفتنة بين تكويناته ، بل ازداد تماسكه وانتماءه إلى هويته وثقافته وأرضه كوحدة اجتماعية عراقية واحدة لا يمكن تجزئتها. كما واكب هذه الحقبة العديد من المحاولات من هذا القبيل إلا إنها كانت دائماً تمنى بالفشل.

إن ما ذكر عن المجتمع العراقي وما زالت المحاولات قائمة من خلال بعض المؤلفات على أن صراعاً دائماً يشوب المجتمع العراقي ذلك لأسباب ثقافية وفئوية وطبقية واستناداً إلى تكويناته الاجتماعية غير المتجانسة^(١٢) .

إن أنكار الصراع في أي مجتمع هو ضرب من ضروب الخيال ، إلا أن اشكاليتنا ليست في الصراع إنما في مستوى الصراع وأهم أسبابه ، فأسباب الصراع في العراق لم يكن يوماً بالشكل الذي صور ويتصور الآن، في مثل هذه طروحات سواء كانت مؤلفات أو أعلام مروج ظالم للمجتمع العراقي ، إن كان الصراع موجوداً فإنما أسبابه مادية ومن أجل الموارد مثل الصراع بين الفلاح والملاك في الجنوب العراقي ، فضلاً عن ذلك فإن مستوى الصراع لم تصل يوماً إلى صراع ثقافي واجتماعي / طائفي / ديني / قومي ، بل انها ذات مستوى ونوعية سياسية أو اقتصادية.

إن المحاولات هذه لبث صورة من الصراع المصطنع في العراق اجتماعياً / ثقافياً كانت تظهر وبشكل بديهي في أوقات محددة ومنها على سبيل المثال :-

- عندما يتعرض العراق إلى الغزو أو الاحتلال .
- عند ضعف الحكومة وضعف تطبيق قانونها بفعل فقدان القوة عند ممارسة السياسة والسلطة .
- التغذية الخارجية لصراع داخلي بحكم سياسات إقليمية .
- ٦- نينوى الاهلية وصف وتأسيس من منظور داخلي قبل ٢٠٠٣ :

إن الواقع التنظيمي التكويني كبناء اجتماعي وفي نواحيه العديدة كجغرافيته الطبيعية والايكولوجية والاثنوغرافية الاجتماعية وحتى فكره التنظيمي الأهلي المدني المتفاعل على طول خط أجياله المتعاقبة على أرضه وترابه تزخر نينوى اجتماعياً وحضارياً واقتصادياً بشكل كبير وتشغل مساحة واسعة من الإرث الرافديني - العراقي ، ذلك بالرغم من الكثير من التدخلات والتعقيدات الاجتماعية في التكوين استطاع أهله في كل أماكنه وفي كل ظروف أزمانه أن يجدوا ويخلقوا المساحة الكافية للاتفاق والعيش معاً وسوية دون مشاكل كبيرة وخاصة تلك الاجتماعية والثقافية منها . وقد دخل أهله في مشاريع اجتماعية دائمية وأهمية توارثت عبر الأجيال وحافظت هذه المشاريع على قدر كبير من الاحترام والتقدير على مر الزمن . وقد اعتمدت هذه الأعمال الاجتماعية في قيامها على أسس وآليات طبيعية وبشقية المادي والإنساني ، وبنيت على أساسها العمران والاجتماع البشري وبشكل مترابط قوي ومستمر على طول مئات بل آلاف السنين وفي مضمون، وعمق التكوين هذا بفعل السلمية

والتسامح والعيش كبديهيات ثقافية ثابتة لا يمكن انتزاعها أو زعزعتها أو حتى هزها - وعليه فإن الكثير من المصطلحات اليوم وفي عصر نينوى والعراق الصعب يبدو هجينة على أهليه، ودخيلة على مجتمعه، وبنفس الوقت واضح من خلال موروثه التاريخي الاجتماعي السياسي على أن هذه المصطلحات تظهر في زمن ضعف العراق ونينوى سياسياً أو في زمن الاحتلال أو الغزو ... الخ .

إن آليات التماسك الاجتماعي وضبطه كثيرة ومتنوعة - منها الجانب الاجتماعي ، الجانب القانوني ، الجانب السياسي ، الجانب الاقتصادي والجانب العرفي ، الجانب الديني ... الخ

ولأن الوضع القانوني ومعه السياسي مازال في طور النشأة التكوين فإن العناصر الأخرى وبشكل بديهي يفعل فعلته أكبر في المجتمع، فضلاً عن كون الجوانب التي سنتناولها في بحثنا هي من الجانب الاجتماعي حيث هذه العناصر دائمة الفعالية من خلال جمع المختلفين مكانياً والمتنوعين ثقافياً اجتماعياً والمتفاوتين في المستويات الاقتصادية والعمرية والجنسية ... الخ .

وهذه الجوانب هي كامنودج لاسس وركائز اجتماعية واضحة العيان وتأثيرها واقع وبشكل قوي على المجتمع خاصة في الاطار الاهلي والمدني وهي كما يلي في الجدول:-

الجانب القيمي	الديني	تعاليم المؤسسة الدينية	ثقافة دينية جامعة متسامحة
الجانب العرفي	عادات وتقاليد أعراف	تعاليم المؤسسة الأسرية البيت / المحلة / القرية	ثقافة أهلية عشائرية أصيلة
الجانب المادي	المهنية الحرفية	تعاليم المؤسسة الاقتصادية	ثقافة السوق / الصنف المهني
الجانب التكنوقراطي	الوظيفة	تعليمات المؤسس الحكومية	ثقافة التوحيد الإداري
الجانب التربوي الرسمي	المدرسة	تعليمات تربوية	ثقافة التوحيد التربوي
الجانب العقائدي	الجيش	تعليمات	ثقافة التوحيد العسكري
الجانب الرمزي	نتاج المجتمع	تعليمات الهوية الوطنية	ثقافة الانتماء الثقافي

الحضاري			
الواقع الاجتماعي الديموغرافي	بديل عن التكوينات الأولية	حكم السكن والتجاور المكاني	ثقافة الانتماء المكاني

وحتى نرسم خط مكوّن في هذه الورقة البحثية المتواضعة فإننا سوف ننطلق من المجتمع المحلي / نينوى وبالتحديد من داخل بنائه التنظيمي كمجتمع محلي اهلي ونختار أهم جوانبه الفاعلة وبشكل أكثر ومباشر وباختصار شديد جداً :-

إن مجتمع نينوى كأنموذج عراقي وفي نمطيه الحضري / الموصل (المديني) - والريفي / الأطراف (الاهلي) فيه عناصر ومرتكزات ذات فاعلية كبيرة في حياته ونرى ان أكثر المرتكزات تأثيراً وفاعلية هي :-

- ١- المحلة / الحي كمجتمع .
 - ٢- المسجد / الجامع كمركز ديني قيمي .
 - ٣- السوق كمحور للنشاط المادي السلعي .
- هذه الركائز الثلاثة يمكن إيجادها وتثبيتها في كل حي من أحياء المدينة (كمركز للمحافظة) مقابل وجودها في المجتمع الريفي مع استبدال السوق بالحقل الزراعي أو الحيواني ... الخ .

علماً أن الدراسات الانثربولوجية تشير إلى وجود علاقات تساندية ما بين المرتكزات الثلاثة أعلاه^(١٣) ومن الناحية الاجتماعية التنظيمية فإن المدينة كانت محصورة في حدود سورها القديم في الساحل الأيمن من المدينة مع وجود معبر واحد لماء دجلة يربط ساحله الأيسر بالأيمن . فكان المجتمع الموصل واضح المعالم من الناحية الإدارية والاجتماعية والاقتصادية كذلك كان واضح في أهليته الاجتماعية من خلال القرب الاجتماعي بين تشكيلاته الأولية الاجتماعية والاقتصادية، الفكرية، القيمة، الدينية، انه ومع اختلاف انتماءاتهم القومية والدينية فإن التفاعل الاجتماعي كان في مستوى راقٍ جداً ، ففي الحي الواحد توجد التشكيلة التنوعية غير المتجانسة كذلك الحال بالنسبة للسوق مثل باب الطوب وباب لكش وباب سراي .. الخ ، ان هذا السوق المتنوع في التخصصات السلعية كانت ومازالت محصورة بين النهر والأحياء الموصلية القديمة مثل الميدان ، الفاروق ، الساعة ... وبقية الأحياء القديمة .

أما من الناحية القمية ففي هذه الأحياء جامع او مسجد ، وليس بعيداً عنه كنيسة وبشكل طبيعي جداً لا غرابة في ذلك كما استغرب إليه الغرباء ووجودها نقطة يمكن أضعاف المجتمع

من خلالها . وهناك سمات وسلوكيات اجتماعية أهلية جامعة لعوائل وأبناء المدينة في التفاعل اليومي والطقوس المتبادلة بين أفراد الحي وفي السوق .

وبعد الربع الأول من القرن الماضي خرجت المدينة من إطار سورها القديم وبفعل عوامل لعل في مقدمتها الزيادة السكانية الحاصلة ومد الجسور إلى ساحله الأيسر واختراقه خط سكة الحديد العابر إلى سوريا من بغداد ، خرجت المدينة من حدود سورها القديم لتمتد وتتوسع على أطرافه القريبة ثم ليعبر إلى الساحل الآخر مشكلة أحياء سكنية حديثة وأسواق جديدة وشوارع ذات الطابع الستيني في العرض والضامنة في تصميمه كل مواصفات الأحياء الحديثة لتخرج المدينة في نهاية الربع الأخير من القرن الماضي بنتيجة :- أن الموصل واحدة من المدن العراقية التي يمكن ان تطبق عليها شروط العضوية الحضرية حيث .

١. تتحول المساجد إلى جوامع اكبر وفي موقع ستراتيحي من الحي .
 ٢. الأحياء القديمة لتنتج ديموغرافياً أحياء ذات طابع مدني عمراني حديث وبمساحة جغرافية اوسع .
 ٣. الأسواق التخصصية القديمة قابلها اسواق على الطراز الحديث ذات الأماكن المحددة والشوارع ذات الطابع التسويقي
- وعليه كان اختيارنا لهذه الركائز الثلاثة للانطلاق إلى معرفة وتحديد خط التفاعل والعيش الاجتماعي الاهلي ومن ثم لاحقاً المدني مقابل سلوكيات خارجية مفروضة مفككة للمجتمع من خلال هذه الركائز وهي كما يلي.

أولاً - الجانب القيمي الديني -

القيم الاجتماعية :- أنها طريقة في الوجود او في السلوك ، يعترف بها شخص او جماعة على إنها مثال يحتذى ، وتجعل هذه الطريقة من التصرفات او من الافراد الذين تنسب اليهم أمر مرغوب فيه او شان مقدر خير تقدير . (١٤)

إن سمات القيم المتعددة منها : ذي احكام قوية على السلوك الانساني ونسبية وفيه الثبوتية وذي شحنة انفعالية بشكل ممزوج من الاستدلال البرهاني والحدس العفوي المباشر بشكل يضيفي هذا الانتماء الى القيم سمات الهداية بالمعنى الديني ، بالتالي يشكل عاملاً قوياً ومؤثراً في وجهة الافراد والجماعات . (١٥)

أن المجتمعات الشرقية ومنها العربية العراقية تؤمن بالقيم الدينية أكثر من إيمانها بالقيم المادية ، المعيارية وحسابات الربح والخسارة والخاصة بالاتجاه والفكر الرأسمالي .

إن السياسات الرأسمالية المرسومة في العراق تشير وبشكل واضح على هذه الفلسفة والفكر الرأسمالي علماً أن المجتمع الرأسمالي في طبيعته المعيارية المادية ينمي الفردانية وليس الفرد ، وهذا النمو يتسبب في مشاكل اجتماعية كثيرة وفي مقدماتها الانحراف عن الجماعة الاجتماعية وفي سلوكيات فردانية ذات طابع مريض اجتماعياً نسبياً وحتى خلقياً وظواهره على السطح تتمثل : بتجارة وتعاطي والإدمان على المخدرات ، ظهور العصابات الإجرامية والاعترا ب ... الخ .

بالنتيجة فإن الإشارة الحقيقية الواضحة للعيان في الفعل الاجتماعي هي عمليات الانعزال الاجتماعي . والإحساس بالفقدان في خضم مجتمع كبير قائم أساساً على المصلحة الفردانية^(١٦) وهذا ما يتناقض تماماً مع مبادئ القيم الذي يؤمن به المجتمع العراقي وبالتحديد التقاطع في مجال القيم الدينية .

إن الجانب القيمي خاصة إطار وتعاليم المؤسسة الدينية لها وقعها الكبير في عقل المجتمع ونفس الفرد - وحتى توضح الموضوع وفعله في هذا المجال (وإن كان حصره صعباً جداً) إلا أننا سنوضح بعض النقاط والخطوط المهمة بهذا المجال . من ثم نختار أحد الركائز المهمة الفاعلة في المجتمع إلا وهو المسجد / الجامع وفي مختصر بعض من النقاط والخطوط المهمة الخاصة بالتوجه نحو تهئية وإعداد مجتمع ذات طابع مدني / أهلي كاملة هي :-

- إن التوجهات الدينية والمؤكدة على الجانب القيمي كوسيلة فإن هذه القيم يؤكد على الفرد وبشكل يبعده من الفردانية .
- إن العمل الطوعي ((الخيرى)) واحدة من الأسس المهمة الذي يجعل الأفراد على قناعة تامة في عدم انتظار المقابل المادي وحتى الاجتماعي منها .
- إن فعل الدين كقيمة اجتماعية عليا تضرب في كل مجالات الحياة الاجتماعية وواحدة من أهم الأنساق الاجتماعية الماسكة للبناء الاجتماعي تنظيمياً وفعللاً وسلوكاً وضابطه القوي جداً وتعمل في العمق السوسولوجي والتي لا يمكن الوصول اليه والفصل به والاستغناء عنه سهلاً في كل الأوقات والأزمنة السهلة / المستقرة والأزمنة الصعبة حيث تقوم بواجباتها بشكل مستمر ولكن بمستويات مختلفة في المجتمع .

إن المؤسسة الدينية لها ألياتها المتعددة في فعلها الاجتماعي سواء كان هذا الفعل على المستوى الفردي أو المستوى العام الاجتماعي - ومن مرتكزاته المهمة بهذا الخصوص - دور العبادة - ومنها (الجامع / المسجد / الكنيسة) كمثال لعب وما زال يلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية وفي كل أوقاته وعصوره وظروفه المختلفة، إن فعل دور العبادة على طول خط

تاريخ المجتمع الشرقي العربي يشير إلى أغلب الأحداث السوداء مثل الغزوات والاحتلال التي تعرض لها فإن للمساجد ولدور العبادة كان دوراً مهماً في الحفاظ على التكوين الاجتماعي ، حيث الأفكار والأنشطة والتقاليد الاجتماعية من خلال التوجيه والإرشاد والسيطرة والتربية والتنشئة استطاعت أن يحافظ أفرادها على ثقافة التوجيهات الدينية / العقائدية والتطبيقية على الأرض وبالتالي الحفاظ على المجتمع وبشكل قوي وصحيح وإمكانية الديمومة والاستمرار للحياة الاجتماعية^(١٧).

والحال نفسه حدث ويحدث في العراق ومنها نينوى ، حيث الفعل الاجتماعي القوي للجوامع والمساجد سواء كانت هذه في مركز المحافظة أو في أطرافه الريفية – ومجتمعة على دراية كاملة على الدور الذي قام فيه دور العبادة من فعاليات قوية من خلال إعادة التوازن في المجتمع في ظروف لم يكن هناك في الشارع والساحة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية سوى قوات الاحتلال وأفراد من الغوغاء (الناهبين لمقدرات مجتمعهم) وقد قيل عن تلك الفترة كأقل تقدير مجتمع بلا دولة ولا حكومة، بمعنى لا قانون ولا ضابط للأفراد سوى بعض المؤسسات الاجتماعية ومنها الأسرة والجامع والمسجد وبقية دور العبادة حيث الاستيقاظ الاجتماعي على ظاهرة لم يعهده ويتوقعه المجتمع الموصلي بأن دور العبادة هي الذات الاجتماعية والعقل الباطن الذي يؤكد حراسة المجتمع ومقدراته المادية والمعنوية من خلال إطلاق مآذنه توجهاته إلى المجتمع المضطرب آنذاك بالثبوت وإعادة البوصلة الاجتماعية إلى عهده وكما كان، الى الذين خرجوا عن الطور والوضع الاجتماعي وضبط سلوكهم الدهمائي ضابطة إياهم في ظل غياب غالبية المؤسسات الرسمية إن لم تكن كلها ، واستمرارهم في الضبط والموازنة والحراسة حتى باطن الليل الموحش بعمة انعدام الكهرباء بالإشارة والإعلان عن وجود غرباء في المدينة^(١٨) .

وفي أحدث دراسة اجتماعية ميدانية في محافظة نينوى حول المسجد ودوره اجتماعياً خلال فترة الاحتلال أشارت الدراسة إلى الكثير من الأدوار والأفعال المهمة والقوية في حياة هذا المجتمع وتلخصت بنتائج مهمة منها:-

أن للمساجد وظائف اجتماعية تربوية ضبطية مهمة من خلال المحاضرات واللجان الاجتماعية وحل المشكلات الاجتماعية الكثيرة والمتنوعة وتحسين الفرد من الجريمة المنتشرة ومساعدة الأسر المحتاجة وتزويج أبنائهم وعلاج المرضى كما وصل الحال بهذه الجوامع والمساجد بأنها تحقق الأمن الاجتماعي وتوحيد اتجاهات وأفكار الرأي العام للمجتمع أزاء الأحداث من خلال المحاضرات والخطب والدورات داخل هذه المؤسسات^(١٩) .

ثانياً - الجانب المادي ((المؤسسة الاقتصادية)) السوق أنموذجاً

إن للسوق أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية ... الخ حيث الديمومة والاستمرار فهو نشاط الفعل في الحقل والمصنع والطريق يجتمع فعله المركزي وبؤرته الفعلية في السوق المتوزع في أماكن ومواقع متعددة من المدينة حسب التخصص والوظيفة والإمكانات المادية والاقتصادية ويتبعها وظيفة أخرى هي الاجتماعية أو ما يترتب أو يبنى عليها من سلوكيات اجتماعية عامة / اجتماعية ومعها يتشكل بؤرة اجتماعية ذات طابع مهني حرفي مرتبط بالدورة الاجتماعية الكاملة .

إن مستوى السوق ونوعه اقتصادياً / سلعياً يعكس المستوى الاجتماعي والمزاجي الاستهلاكي بالتالي الوعي الاجتماعي والعكس صحيح ، فضلاً عن أنه هناك فرقاً بين السوق للوضع المحلية الوطنية وسوق للبضائع والسلع الأجنبية ، حيث السوق العراقي له مواصفاته وإمكاناته من الناحية الإنتاجية والاستهلاكية ، يعني ذلك أن للسوق العراقي منتجه وصناعه وحرفيه وخاصة في الأسواق الشعبية والتي تمثل قوة مجتمعة وبشكل شعوري أو لا شعوري في التنظيم حيث الثقافة المهنية والسلوك المهني بين الأفراد متشابه ومتفق الرؤى والآراء الاقتصادية والبيئية.

إن أغلب المدن العراقية والمنطقة من البيئة نفسها والمالكة للإمكانات الاقتصادية والتجارية وتكون هذه السمات ذي طابع عضوي مرتبط بالإنتاج والاستهلاك السلمي والحاجات الاقتصادية مع تغير في الطبيعة المهنية والسلوكية حسب متطلبات الحاجات الاجتماعية للسلع، الى درجة تميز مدن بإنتاج سلع معينة عن أخرى لا تمتلك الوسائل والمواد والإمكانات وأخرى زراعية وأخرى صناعية وأخرى تجارية ... الخ ،، معنى ذلك .

أن نفوذاً اجتماعياً أخلاقياً واقتصادياً أدت وشكلت ركيزة أساسية من ركائز الحياة الاجتماعية مما خلق وعزز روح التعاون بين المتفاعلين في هذه المساحة الاجتماعية هذا ما يشير إليه إحدى أهم الدراسات الميدانية في العراق (٢٠) .

أما سوق نينوى الاقتصادي في عديد نواحيه ومستوياته فإن ثمة سمات مشتركة مع السوق الوطنية العراقية من حيث الإنتاج والتفاعل وعلى اتجاهاته المتنوعة بالمقابل فإن لهذه المحافظة (ذات الثقل الاقتصادي والديموغرافي) لها سماتها الخاصة بها، وحتى نحدد بعض من الدوافع الداخلية لآبد من لمحة توضيحية سريعة ومختصرة لها مع الإشارة وبشكل محدد لسوقه الفاعل نحو خلق وإيجاد المساحة الكافية للتفاعل وعلى المستويين الوطني والمحلي بين التكوينات الاجتماعية العراقية بشكل عام ونينوى بشكل خاص .

إن لنينوى كمحافظة وإقليم اقتصادي واسع سماتها الخاصة، فضلاً عن السمات العراقية حيث تحكم المحافظة منطلقات كثيرة منها الجغرافية ، البيئية ، المهنية ... الخ وفيها أنشطة عديدة ومؤثرة في الاقتصاد المحلي والوطني ومنها الزراعة والتجارة والصناعة ومنذ القدم وليومنا هذا. وبشكل تتشكل دورة اقتصادية اجتماعية قوية وكما يأتي :-

١- فكل أرض نينوى هي ذات طابع زراعي، وفيها تجمعات اجتماعية زراعية واسعة وفيها فئات اجتماعية ذات طابع زراعي من فئة المالكين للمساحات الواسعة من أبناء المدينة وفئة مالكة متوسطة للمساحات الزراعية على نطاق القضاء - القرية - وفيها فئات الاكرة والحواسيد والكتافين (العاملين) .

٢- إن المحافظة ومركزها الموصل معروفة بكونها مدينة تجارية في العديد من نواحيها ولأسباب منها الموقع الجغرافي المهم وسعة مساحتها وثقلها سكانياً ووجود الأسواق القديمة الشعبية والحديثة موزعة في أنحاء المحافظة سيما في المركز واطرافها القريبة مع وجود مواقع متقدمة من الأماكن والساحات الحرة والتبادل التجاري . فضلاً عن ذلك ارتباط المحافظة بالمحافظات الأخرى تجارياً من ناحية، ومع دول مجاورة بعلاقات اقتصادية تجارية مروراً منها إلى بغداد وبقية المحافظات من ناحية أخرى، وعوامل أخرى كثيرة ضاهت المركز (بغداد) في تجارتها وفعلها الاقتصادي . لا يمكن حصر عواملها الآن.

٣- أما الصناعة فقد كونت رافداً مهماً منذ عصورها القديمة وليومنا هذا، حيث الصناعة المحلية / الوطنية / العالمية بفعل توفر المواد الأولية والبيئية وتوفر المياه جعلت من المحافظة مقاماً صناعياً متقدماً ، وخريطته الصناعية تشير إلى وجود مواقع صناعة ومشاريع إنتاجية ضخمة استراتيجية بالمقارنة مع المحافظات العراقية الأخرى حيث في المحافظة العديد من المشاريع الصناعية الضخمة من معامل إنتاجية مثل السكر والنسيج والألبان ... الخ ومئات المشاريع المتوسطة مثل معامل الأخشاب

- والمشروبات الغازية ، والمعامل الخاصة... الخ والآلاف من المشاريع الصغيرة الأهلية ومواقع صناعية وصيانة على أطراف المدينة ... الخ^(٢١)
- وبلمحة سريعة عن التوزيع الايكولوجي للأسواق في نينوى ومركزه الموصل فإن الخريطة تشير الى توزع السوق وبشكل منظم حسب النمط والاختصاص في رقعة المحافظة والمدينة - حيث
- السوق القديم في مركز المدينة وبالقرب من أحيائها القديمة - وب تخصصاتها المهنية ذي الطابع التقليدي المركز في التوزيع المتقارب والمتنوع في التخصصات السلعية المحصورة مكانياً بين نهر دجلة والأحياء الشعبية في المدينة .
 - السوق السائد في الساحل الأيسر ((سوق النبي يونس)) وظهر للعيان بعد أن خرجت المدينة من طورها القديم وأقامت أحيائها الجديدة حيث الاستقطاب على الأغلب لسكنه الأطراف من الجهة الشرقية من المحافظة .
 - الأسواق في الشوارع ذات الطابع الستيني وهذه الأسواق ظهرت مع ظهور الأحياء الحديثة والتي ظهرت بعد منتصف القرن الماضي وفي المناطق التي أقيمت فيها مشاريع تنموية كبيرة مثل سوق الجامعة وسوق الأحياء الحديثة مثل سوق الزهور ... الخ .
 - الأسواق ذات الطابع الصناعي والتجاري والزراعي :- ظهرت هذه المناطق في بداية الخطط التنموية الشاملة التي مرت بها المدينة والمحافظة حيث : منطقتين صناعيتين ومناطق للتجميع وتسويق الإنتاج الزراعي ، واليابسات ، وتجميع وتسويق الإنتاج الحيواني ... الخ ومساحة كبيرة للتبادل التجاري المنطقة الحرة - ومشاريع كبيرة أخرى، كانت في تصميمها وموقعها قد راعت الشروط البيئية والصحية ومع وجود فجوة مكانية واسعة بين هذه المشاريع والأحياء السكنية واليوم ومع التوسع السكاني امتزجت الأحياء السكنية بهذه المشاريع الصناعية واختفت هذه الفجوات المكانية لتعود وترتبط هذه المناطق الصناعية بالأحياء عضواً ومكانياً .
 - المشاريع الاستراتيجية القائمة والمنتشرة في الأطراف الريفية والتي استطاعت أن تقضي على الفجوة المكانية التي كانت موجودة بين الموصل كمركز محافظة وبين أطرافها من الأقضية والنواحي والقرى مع وجود شبكة عنكبوتية من طرق المواصلات .
- أن الفقرات من الأنشطة للأسواق المذكورة ومع أنشطة كثيرة لا مجال لذكرها قد خلقت نوعاً من المميزات ذات الطابع الاجتماعي المهني الجامع وحقيقتها التكوينية من كل المكونات الاجتماعية في نينوى وحتى من بقية المحافظات العراقية وبحكم التعليمات والقرارات الإدارية المركزية قد تجمعت وعاشت فيها وعليها .

ويمكن استنتاج بعض من الحقائق الثابتة الاجتماعية وكما هي الحال بالنسبة لمحافظة عراقية أخرى وهذه الحقائق هي :-

١- إن هذه المشاريع قد شكلت منطقة فعل اجتماعي قائمة على توثيق الصلة وتعميق العلاقات الاجتماعية والتعارف والتداخل في بعض الحالات تصل إلى تجاوز علاقة العمل .

٢- إن هذه المشاريع والأسواق أتاحت فرصة الاحتكاك بين التكوينات الاجتماعية العراقية عموماً ومجتمع نينوى بشكل خاص .

٣- إن الفئات الاجتماعية ذات الطابع القومي والديني والطائفي وبشكل طبيعي ذابت في بوتقة الفئوية المهنية وسادت المطارحة في الآراء حول السلوكيات المفصلة للسوق مثل المهنية الوظيفية والمهنية التجارية والمهنية الصناعية والمهنية الزراعية ... الخ

٤- أنها منطقة اجتماعية خلقت لدى الأفراد وسلوكيات ذات طابع مهني / مدني / أهلي في الشخصية ومتفاعلة مع الآخر غير المتجانس ثقافياً موازناً بين الانتماء المحلي والانتماء المهني حيث التكاثف والذوبان في ثقافة وتقاليد السوق أو المعمل أو المصنع أو المهنة .

٥- إنها منطقة جامعة في تفاعلاتها الكثير من الفئات والطبقات الاجتماعية حيث في السوق أو المصنع أو المنطقة التجارية وفيه الغني والفقير والموظف وغير الموظف ، الريف والحضري الرجال والنساء والفئات العمرية ... الخ

ثالثاً - الجانب الاجتماعي / المحلة / الحي :-

تعرف المحلة :- بانها الجماعة الاجتماعية الأولية التي تنشأ تلقائياً في منطقة صغيرة متميزة محدودة مكانياً تجمعها المشاركة الودية بين أعضائها الذين يقيم بعضهم بجوار البعض الآخر وتربطهم علاقات شخصية مباشرة ووثيقة مستمرة نسبياً (٢٢) .

كما تعرف المحلة / الحي :- بمجموعة من السكان يسكنون موقعاً جغرافياً معيناً تربطهم علاقات اجتماعية قرابية أو غير قرابية تؤدي وظائف معينة (٢٣) .

وإن المحلة / الحي وحسب توجهات بحثنا هذا هي :-

المنطقة التي يجتمع فيها الأفراد اجتماعياً وبشكل غير رسمي وتكويناتها الاولى هي الأسرة ومجموعها هي المحلة أو الحي وتشكله ضمن إطار ثقافي واضح المعالم على افراده وبشكل يضمن استمرار التفاعل الإيجابي ولأكثر فترة ممكنة .

إن التعاريف أعلاه تشير إلى مجموعة من الأسس والمستويات في التشكل - والتشكيلة الاجتماعية للمحلة تشير إلى مستويين:

الأول عام / المحلة

والثاني / الأسرة

وهذه الاخيرة ذات طابع من رباط شرعي ديني، بذلك: هي اصغر وحدة وجزئية اجتماعية مقدسة، وتحكم الاولى بهذه القدسية والرباط الديني ومعها عاداتها وتقاليدها المتوارثة، وينطلق افرادها من داخل هذه الجزئية الاجتماعية الصغيرة (الاسرة) الى الاكبر (المحلة) والعام (المجتمع المحلي والمجتمع العام) لتضبطها من الداخل . والعكس صحيح فان المحلة في الوقت نفسه تحكم الاسرة من خلال الكثير من آلياتها وبضمنها التلقائية في الوجود ومحدودية مكانه ومداه الاجتماعي والتجاور المكاني والمصلحة والمصير الواحد كمنطقة اجتماعية واجبة الحماية والحفاظ عليها من ثم احتواء الآخرين من خلال الثقافة المحلية والتواصل الاجتماعي وضوابطه الداخلية .

إن كبريات المجتمعات وأكثرها تطوراً ورقياً في سلم العيش الاجتماعي السلمي والاهلي وقبول الآخر ((وحسب ادعاء عرافوه ومنظروه)) حيث الطابع الثقافي التجميعي يؤكدون على أهمية الأسرة كأساس ونواة للمجتمع والمحلة كوحدة اجتماعية مهمة جامعة للمتنوع المختلف .

إن تشكيلات المدن وبشكلها الصناعي في هذه المجتمعات افرزت مشكلات اجتماعية كثيرة ومتنوعة منها ما تخص المحلة والحي وبضمنها الأسرة دفع بالكثير من المفكرين إلى إعادة النظر بهذه الأحياء وتحريك عناصرها الاساسية وعاداتها وتقاليدها إلى درجة صناعة هذه الأحياء اجتماعياً ذلك من خلال تنويع المهارات والاختصاصات وخلق إطار من التنافس العام وضبطها من الداخل بتوجهات الدين والعادات والتقاليد والأعراف كذلك خلق شخصية تفرض على نفسها قيوداً في السلوك والظموح - كذلك التنشئة على أساس التهذيب من داخل الأسرة .

أن هذا المجتمع المحلي يوفر الحماية للأفراد من الأمراض الاجتماعية داخل الأسرة والمحلة على حد سواء ويسمح بنوع من التدخل الاجتماعي بأن يحدث دون تهديد النمط المعياري لمعيشة الأسرة .

كما وتظهر القيادة عند هذا المستوى من المجتمع وبشكل طوعي حيث يمكن للأشخاص الذين يعيشون في مثل هذه المناطق إمكانية تمييز قوة شخصية جيرانهم أو ضعفها - كذلك بالإمكان الإشارة إلى ظواهر وسلوكيات راقية في هذه الوحدة الاجتماعية مثل احترام كبار السن وآرائهم والاستفادة من مجالس الوجهاء والأمناء وحماية الجيران من التهديدات الداخلية والخارجية ... الخ^(٢٤) .

أما في مجتمعاتنا فإننا وحسب الطبيعة والواقع الطبيعي الفطري، تأكيداً، لانتاج إلى صناعة محلة اجتماعية ذلك لوجودها وبشكل طبيعي ومنذ مئات بل الآلاف السنين ، وفي هذه التشكلات الاجتماعية الواضحة المعالم من الناحية الايكولوجية والديموغرافية والاجتماعية ويمكن تشخيص مواصفاتها الطبيعية هذه، حيث ، تتمحور نمط الحياة الاجتماعية في إطار البيت التقليدي القديم والذي يبرز بتصميمه العمراني المتميز المحدد (وكاحد أهم العوامل) ملامح الحياة الاجتماعية اليومية للفرد والأسرة والعائلة العراقية والموصلية في نينوى إلى درجة أن تصميم البيوت تؤثر في تنظيم العلاقة بين الآباء والأبناء وأساليب الطعام والنوع والعمل واللعب والترفيه ، وتوضح مركز السلطة الاجتماعية ومظاهر التعامل الاجتماعي والقبول والرفض والتحفظ في العلاقات الاجتماعية داخل وخارج الأسرة / في المحلة أو الحي^(٢٥) .

وليس بعيداً عن المدينة حيث الأطراف الريفية والمدينة تزخر هي الأخرى بسمات وطابع اجتماعي أهلي / مدني في العيش وبشكل واضح الأطر والثقافات ذات الطابع الضبطي لأفرادها إلى جانب الأخذ بنظر الاعتبار - الاطراف الاجتماعية لنينوى هي ذات طابع تنوعي موزائيكي بشكل اجتماعي فسيفسائي في التكوين .

تشير نتائج الدراسات الاجتماعية الميدانية التي اجريت في منطقة تكوينها الاجتماعي متنوع إلى ان :-

مجتمع الدراسة يعملون وحريصون على غرز القيم التي تحتل على التعايش مع الديانات والطوائف والقوميات المختلفة في نفوس أبنائها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وتتمثل هذه القيم بالحث على السلام مع الآخرين ونبذ العنف والانتقام مقابل غرز قيم المحبة

والتسامح . كذلك تحت العوائل الساكنة في المنطقة الواحدة والمكونة من تنوع اجتماعي ثقافي على مصاحبة أبناء الديانات والقوميات المختلفة عنها وتتجلى ذلك في المدارس والأحياء السكنية المتنوعة إلى درجة إجادة أبناء المسلمين للغات المسيحية والاييزيدية وبالعكس ولا تنحصر هذا على الأبناء فقط إنما حتى الآباء والأمهات (٢٦) .

وإن المحلة القديمة وبمواصفاتها الشعبية وزقاقها الضيق المتقارب بيوتاتها إلى حد المزج البنائي، والضابط لبنائها الاجتماعي وأسرها من خلال ضمانات بيئية ومبتكرات بنائية عازلة للأصوات والممانعة للنظر وحدودها الثقافية (الدين - العرف - المزاج المدني / الأهلي) والجامعة لنخبه وكبار سنه ووجهائه في ((جاي خانه)) في نهاية شارعها، وتداخل أبنائها في باحة الحارة الصغيرة والضيقة واكتضاض ممراتها بالنساء الزائرات لبعضهن البعض في أوقات محددة وسلوكيات وظواهر اجتماعية كثيرة ومعقدة - هذه الظواهر توفر الكثير من التقارب الاجتماعي الى درجة التعصب الى المحلة او الحي فان نتاج التقارب هذا مجتمع فاعل وبشكل طواعي من غير مقابل دافعة القيم الدينية والأعراف الاجتماعية وحكم العيش في الدائرة الاجتماعية المحلية الواحدة. إنما هذه وسلوكيات أخرى تشير وبشكل واضح على أسس وقواعد ذات طابع مدني / أهلي وبشكل فطري متوارث عبر الأجيال وهذه الحالة نفسها بالنسبة للعمل الطوعي في الريف العراقي إلى حد قريب .

أن سمات المجتمع المدني / الأهلي هي طبيعة المجتمع العربي العراقي ونيوى نموذجاً ، وأن المجتمع الأهلي ينسبه العديد من المفكرين إلى هذه المجتمعات (٢٧) وفي مضمون البناء الاجتماعي ومن خلال تشكيلاته ونوعية بناءاته أشارات واضحة على السلوك المدني من غير تنظيم رسمي على غرار منظمات المجتمع المدني في المحلة / الحي أو الريف إشارات قوية واتفاق على السلوك المدني من دون الاعتراف على الخلفية الثقافية الاجتماعية .

٧- صورة مجتمع نينوى الأهلية المدينة بعد ٢٠٠٣ لمحة مختصرة

منذ دخول قوات الاحتلال إلى المحافظة حالها حال أغلب المحافظات العراقية اجتماعياً / أهلياً تعرضت إلى ممارسات وضغوط تفكيكية وبشتى الوسائل والأنواع ، إلا أن مجتمع نينوى وبفعل اهليتها ومدنيتها القوية وبفعل ثقافتها القوية وشخصيته المتجذرة عاشت المحافظة لفترة قاربت السنة بحاله مجتمع بلا حكومة ومجتمع بلا دولة محاولة موازنة نفسها من خلال الانطلاق من عوامل ذات علاقة بالوعي الاجتماعي والثقافي ومنها الثقافة الأهلية والمدنية وبشكل طبيعي وفطري،

وفي هذه الفترة كانت هناك فجوة ثقافية واضحة بين المجتمع وقوات الاحتلال شعور واضح بأن هؤلاء غرباء عن المجتمع بكل معاني الغرباء من حيث التعامل والنظرة والتفاعل .

٨- المجتمع العراقي في أزمة هوية ((بعد ٢٠٠٣)) صناعة الاكراه والياتها :-

إن العراقية اليوم كهوية تحيي بما يسمى بالمد والجزر ، حدها عقول إبداعية مبتكرة متحدية ، وجزرها يحول دون تفعيلها ليفرغ الابداعية إبداعيتها ليحول دون قدرتها على التأسيس لما يسمى بحوار المثقفين . فحوار الواحدية حال دون قدرتها على إنتاج الذات العراقية ، فحدث الذي يدمي القلب ^(٢٨) ، في تاريخه الحديث وفي أسوأ ما تعرض إليه المجتمع العراقي من حرب طاحنة وحصار شامل أريد منه تدجين المجتمع العراقي ((التفكير فقط في الغذاء دون أشياء أخرى كالثقافة)) مع محاولة تفككه اجتماعياً وتقسيمه إلى ثلاث مناطق رقمية ((خط طول ، عرض)) من ثم احداث احتلال .

إن العراق وبعد يوم التاسع من نيسان ٢٠٠٣ يوم ستجد وقفة حداد كلما مرنا ذكره ، ليشهد تغييراً ومرحلة انتقالية على يد قوات الاحتلال / الأمريكي ، مما أعد العراقية كهوية للدخول في إشكالية أسمها جدل الاحتلال، الخشية على هذه الهوية من الضياع وإلى اللحظة الحالية شبح وخوف عند دخولك بؤرة المؤسسة السياسية التشريعية والتنفيذية ذي المنطلقات المحدودة عراقياً في الهوية ، ساحبة جدلها ومشكلاتها على المجتمع المثقل بالكثير من الإشكالية الخدمية والصحية والمادية ... الخ .

كما وإن المجتمع العراقي كمجتمع وثقافة أهلية أمام تحديات كبيرة وهو بحاجة إلى درء الخطر المحقق به بسبب تحمله أعباء ثقيلة من الاحتلال وخطئه المفككة ، بعدما فككت أغلب مؤسساته الرسمية وإعادة بنائها على اساس فلسفة وفكر ومصلحة الاحتلال ،

إن هذا الخطر يكمن في إعادة صناعة العراق من جديد وعلى غرار ثقافة الاحتلال التجميعية، لينزل من مستوى أصالته وأرثه ومخزونه الفكري والحضاري إلى مستوى متردٍ مبتذل في التفاعل - ((وكما يسمى عراقياً بمجتمع اللوم)) وإن المجتمع العراقي وأهليته ومدينته المعهودة واحدة من أهم عناصر تماسكه وديمومته على طول وجوده على أرضه . ومنها نينوى العراقية ذات التكوين غير المتجانس وعاشت وتعيش منذ ٢٠٠٣م وليومنا هذا لحظات حرجة في أهليته ومدينته غاية للعودة إلى مدينيات متشنجة ومنكفئة على ذاتها قومية أثنيًا

طائفيًا ... الخ وذلك من خلال سياسات فرضت عليها واعتبرت هذه السياسات كآليات معدة مسبقاً لتفكيكها وإعادة صناعتها من جديد وكما يلي :-

٩ - آليات التفكيك :-

تقسم هذه الآليات إلى مستويين / الأول : آليات التفكيك على المستوى العراقي

الثاني : آليات التفكيك على مستوى المحافظات وحسب واقع ومميزات

وخصوصية كل محافظة .

وبشكله العام يمكن استنتاج مشتركات كثيرة في هذه الآليات ((كإفعال تفكيكية)) ومنها :-

بعد تفكيك البنى الرسمية المؤسسات الرسمية الحكومية



تفكيك البنى الاجتماعية



من خلال تفكيك البنى الثقافية



وإعادتها من حالة المشتركات الوطنية العامة ((كالمواطنة العراقية))





صناعة حدود أدارية جغرافية وحصرها لوجستيا عسكرياً / تقطيع الوصال بحجة الحماية وتحقيق الأمن



العمل على إعادة اكتشافها لنفسها من جديد من خلال سياسات منها :-

ضياح الحقوق القومية والدينية والأثنية والاقتصادية ... الخ



صناعة الإكراه بين التكوينات هذه من خلال إيجاد مناطق ساخنة بين حدودها الجغرافية وبين مفاصلها الثقافية



انكار الماضي وخاصة الثقافي منها وخاصة السمات المدنية / الأهلية وإعادة ربطها من جديد حسب متطلبات وأهداف الاحتلال
وسياساته وكان هذه التكوينات لم ترتبط من قبل ببعضها البعض من خلال خلط الأوراق السياسية بالاجتماعية وبالعكس



إشاعة سلوكيات ومصطلحات توحى بان المجتمع العراقي وتكويناته في صراع على أساس أثني وطائفي وانها تحاول الجمع
بينها من خلال مصطلحات منها التعايش/ التعايش السلمي . وحتى الحوار وحوار القوميات

وليبقى الجدل العراقي الثقافي غاية إلى اللاتفاق وإمكانية الدخول بدوامة صراع داخلي غاية في السيطرة وبأقل الإمكانيات .

أما الآليات التي أتبعته فهي كثيرة - ومنها وبشكل مختصر :-

- ١- الدستور العراقي الدائم الجدل .
- ٢- الفيدرالية والأقاليم كوسيلة للحكم .
- ٣- خلق المراكز الحضرية والمدن والاقضية وتسييب الاطراف / حدود العراق وحدود المحافظات والدخول بكل حرية ودون قيود .
- ٤- تشكيل كيانات سياسية ذات منطلقات محدودة الأهداف وتعتمد التشكيلات الأولية المعتمدة كالقومية والطائفية والأثنية وبشكل لا ترقى إلى مستوى الأحزاب ذات برامج عراقية / عامة دون تميز .

٥- العزل على أساس اجتماعي / ثقافي ومناطقى - تقطيع الوصال - انطلاقاً من العراق كوحدة سياسية اجتماعية واحدة ، مروراً بالمدن وإلى أعمق وحدة وهي الحي / المحلة وصولاً إلى الأسرة .

٦- التنوعية والتعددية الاجتماعية من حالته الطبيعية إلى حالته الاصطناعية .

٧- صناعة مؤسسات رسمية بعيدة عن المهنية ومعتمدة التكوينات الأولية حتى تفشي الفساد فيها.

٨- تحويل السوق العراقية من سوق منتج إلى سوق مستهلك وبامتياز .

إن هذه الآليات وآليات أخرى تمثل اليوم جانباً من أهم تحديات المجتمع العراقي على المستويين الوطني وعلى المستوى المحلي / كمحافظة نينوى كأنموذج ، حيث إضافة إلى هذا فإن نينوى كمجتمع محلي حالها حال المحافظات الأخرى عليها ضغطاً وتحديات كبيرة مع كونها واحدة من المحافظات الواسعة جغرافياً والثقيلة في اقتصادها والكبيرة في ديموغرافيتها وسكانها ذات الطابع التنوعي ولها مميزات خاصة بها كموقعها التجاري وخصوبة أراضيها زراعياً ووجود معامل صناعية مميزة فيها، مع وجود مراكز وأطراف ذي ثقل ديموغرافي متنوع ، وبقدر هذه الأهمية عراقياً بالمقابل تعرضت وبشكل كبير على ضغوطات منذ احتلال العراق وإلى يومنا هذا، وتحدياتها قائمة وفي أغلب النواحي وتوصيفها في هذه الورقة البحثية صعبة إن لم تكن مستحيلة، إلا أننا سوف نركز على الجوانب والمرتكزات الاجتماعية التي اخترناها في مدخل البحث ومنطلقاته الأولى بعد أن قدمنا وصفاً بسيطاً عن ماهيتها وفعلها اجتماعياً / أهلياً - لتحاول تبين ما آلت إليها وضعها بعد دخول الاحتلال وبفعل آلياته الصانعة للإكراه .

١٠- تفكيك الركائز الاجتماعية الأهلية / المدنية والهوية العراقية (نينوى أنموذجاً)

إن كل الأفعال أو الأنشطة الاجتماعية خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن كانت تسير بشكل طبيعي ضابط مجتمعه عناصر أساسية هو الوازع الديني / القيمي ، والدافع العشائري / الاسري /العرفي ، والوازع المصلحي / المادي كون المدينة في الأصل منظمة وذات سمات اقتصادية / زراعية / صناعية / تجارية ، وإن المصلحة والعمل والممتلك داعمة قوية للركيزتين يمكن السابقتين (دين / الأعراف). ففي كل حي ترى التنظيم الاجتماعي وفي كل شارع هناك سلوك غير مسبوق في التنظيم وفي ظل غياب تام للقانون والسلطة الحاكمة، كذلك الحال بالنسبة للسوق المستمر الذي لم يقف طوال هذه الفترة من غير إشكالات مادية كالسرقة والعصابات ... الخ استمر هذا الحال إلى إن تعرض هذا السوق إلى هجمة شرسة فيما بعد .

إن المجتمع وبإمكاناته الذاتية استطاع أن يبرهن خلال هذه الفترة بأن لا مشكله ولا إشكالية عندها خاصة في تشكيلاتها القائمة على التنوع واللاتجانس الثقافي.

يمكننا القول أن الإشكالية بدأت مع إعلان الوجهة السياسية الجديدة في العراق من قبل قوات الاحتلال والقوى التي رأت نفسها سياسية بديلة عن الشعب، حيث أنزل مجمل الممارسة السياسية إلى مستويات محلية ومنها / نينوى ليزيد من أزمته وتعقيده ذلك من خلال ملاحقة مكوناتها الاجتماعي غير المتجانس محاولة فك تلاحمها عراقياً وأنزالها إلى مستوى جزئي أكثر طائفي أثني ... الخ غاية في الكسب السياسي، وجاء هذا البرنامج بديلاً عن البرامج السياسية الجامعة على أساس المواطنة العراقية.

إن المجتمع الأهلي العراقي ومنه نينوى في ضوء النموذج العربي في الأصل قد أخذ بنظر الاعتبار من قبل الأنظمة السياسية وقد غطتها الدساتير وبشكل موجه نحو العمل بخطط اجتماعي أهلي واحد، وفي حال استثمار هذه المجتمعات الأهلية وبشكل إيجابي من خلال دمجها في الإطار الوطني الجامع تحت هوية فاعلة موحدة مثمرة في فعلها ترقى إلى مستويات متقدمة في التعبير الثقافي المحلي / نينوى والوطني / العراقي .

أما في حال هيمنة القوى الامبريالية ومنها الاحتلال ذي العقيدة المفككة لهذه الهويات المثمرة تاريخياً وكما الحال في العراق ونيوى اجتماعياً / أهلياً فإن :-

انقساماً أفقياً قائماً على التذرية والتشظية والتفتيت ، ومحاولة خلق الصراع بين هذه المجموعات من خلال مرجعياتها وبؤرها الثقافية من ناحية وخلق مرجعيات وثقافات مرجعية جديدة من ناحية أخرى (٢٩) فكان :-

إن هذا الصراع ((غير المثمر تاريخياً)) قد أشرت على طول خط وجود القوى الاجنبية على أرض العراق بالتالي هذه الصراعات المصنوعة اجتماعياً / أهلياً هي بالأساس لخدمة هذه القوى المسيطرة عنوة لتكريسها في إطار جديد من السوق الكونية السلعية (العولمة).

كذلك الحال نفسه في مجتمع بحثنا كأنموذج عراقي وبالعودة الى العوامل والمرتكزات الاجتماعية الواردة في مدخل البحث فإن :-

- المسجد في المحلة القديمة والجامع في الحي الحديث - كمصدر للقيم
- الأسرة في المدينة والعشيرة في الريف - كمصدر للأعراف
- السوق في المركز والزراعة والصناعة في الأطراف وبينهما التجارة - كمصدر مادي/مصلحي

وهذه الركائز الاجتماعية المنتجة للأهلية / للمدينة قد تعرضت إلى محاولات تفكيك وبالعديد من الوسائل التي استخدمها الاحتلال بعد ٢٠٠٣ م .

أ- وفي مقدمتها المسجد / الجامع حيث :-

- تعددت مصادر القيم الدينية من خلال زيادة عدد مراجعها وقسمت المحافظة لوجستياً إلى مناطق دينية - طائفية - وضعت حدود بين هذه التقسيمات بحجة الأعمال الإرهابية - لتدخل في تيار الجدلية (غير المثمر) .
 - نظر إلى المساجد والجوامع على أنها مصادر بواعث إرهاب مما طوقت هذه المؤسسات الدينية بضوابط إدارية قانونية من خلال الحكومة الانتقالية وسلطة الائتلاف / الاحتلال . وصل الحال في حينها أن يهدد المجتمع ومعها قسم من أئمة الجوامع والمساجد بقطع البطاقة التموينية عنها (٣٠) .
 - تعرض بعض من الشخصيات الدينية الفاعلة إلى أعمال تصفية جسدية .
 - تحملت الجوامع والمساجد عبء قسم من واجبات المؤسسات الرسمية في التنظيم والخدمات الإنسانية .
 - بعض الجوامع والمساجد تحولت إلى ثكنات عسكرية من قبل القوات ما تسمى بالحكومة آنذاك
 - بالمقابل فإن الجوامع والمساجد تحولت إلى مواقع دفاعية ضد الاحتلال في بعض مناطق نينوى .
 - لعبت بعض الأحزاب ذات الطابع الديني دوراً في شرعنة الاحتلال وقوانينه وداستيره .
- ب- أما المحلة/الحي :-

فهي الأخرى تعرضت إلى محاولات تحجيم فعلها الاجتماعي الأهلي من خلال :

- تطويقها وعزلها وتحديد مسارات الدخول والخروج من واليها .
- تعطيل العديد من شوارع الفاعلة اقتصادياً من خلال تعطيل مساهماتها على حساب الحركة العسكرية وأخرى مدنية .
- إيجاد مناطق مواجهات عسكرية محاذية للأحياء السكنية مما أدى إلى تعطيل هذه المناطق اجتماعياً .

- اختيار مناطق حيوية داخل الأحياء السكنية للثكنات العسكرية مما عطل هذه الوحدة والركيزة الاجتماعية من فعله الاجتماعي / الثقافي / الأهلي .
- بالوقت نفسه فقدت استقلاليتها وسلوكها المدني / الأهلي من خلال تعطيل حركة سير أفرادها وتنميط حياتها الاجتماعية الطبيعية .
- تعرض أغلب الأحياء السكنية إلى هزات قوية وبضمنها التفجيرات * وتحولت إلى ساحة مواجهات .
- عزلت الأحياء السكنية عن الأسواق وبوسائل عديدة ومتنوعة منها قطع كونكريتية على الشوارع أو الأسلاك الشائكة أو أكياس رملية مكعبة وبشكل عطلت وبات من الصعوبة الوصول إلى الأسواق .
- إن الدراسات الاجتماعية الميدانية التي كان باحثية بتماس مع مجتمع الدراسة / نينوى توصلوا إلى نتائج حقيقية في نقل وجهة نظر المبحوثين وإنطلاقاً من فكرة مجموعة الأسرة ثقافياً في محلة واحدة أعربوا بأن :- الاحتلال الأمريكي يعمل بكل الوسائل والطرق على إثارة الطائفية والقومية والأحقاد بين افراد المجتمع وإن خطته باتت واضحة وضوح الشمس في وضوح النهار .
- كما وأن للدول المجاورة دوراً في إثارة الفتنة الطائفية بين افراد المجتمع غاية في إبعاد الخطر الأمريكي عنها من جهة وتحقيق مصالحها من جهة أخرى ، مثال ذلك تفجيرات سامراء ذي الأهداف الحقن الطائفي ، كذلك ما يتعرض له العراقيين من المسيحيين وتهديمهم بين الفينة والأخرى ومحاولة زرع الفتنة بينهم وبين التكوينات الاجتماعية الأخرى (٣١) .

ج- أما الاقتصاد أو الجانب المادي - ومنه السوق في نينوى كأنموذج فإن :-

الآليات المفككة والمذكورة آنفاً أثرت وبشكل مباشر على فعل نينوى اقتصادياً وعطلته عن فعله على المستويين الوطني والمحلي حيث :-

- جمدت المشاريع ذات الطابع الوطني والاستراتيجي المنشورة على خريطة نينوى الجغرافية ، مع تعرضها إلى نهب وسلب لمعدات الأساسية وبشكل مباح ومبرمج - مثل مشاريع هيئة التصنيع العسكري ومشاريع ذات طابع زراعي وتجاري مثل مشروع سد بادوش والساحة الحرة والتبادل التجاري وبشكل لم تستطع الهيئات المستقلة ومنها النقابية المحافظة عليها ووقف أنشطة النهب والسلب القدير عليها من خلال الاتصال مع قوات الاحتلال حيث اللامبالاة وعدم الاهتمام بالمطالبات النقابية آنذاك (٣٢) .

- فقدت المحافظة بشكل عام والمركز / الموصل بشكل خاص سميتها التجارية واصبحت غير موصلة للخطوط التجارية بين المحافظات العراقية وعزلت بالوقت نفسه أطرافها المترامية عن المركز وبشكل أعادت المحافظة على سابق عهدها القديمة حيث الفجوة المكانية بين المركز وأطرافها الزراعية والتجارية . جاء هذا بفعل تعطيل حركة المواصلات ومنع مرور حركة الآليات الكبيرة أو تأخيرها بفعل ضوابط عسكرية / احتلالية وبفعل أرتال عسكرية ... الخ .
- تعطل النشاط الزراعي في المحافظة بعدما كانت سلة خبز العراق تتحول تدريجياً إلى أكبر مستهلك زراعي بفعل ثقلها السكاني والديمقراطي .
- إيجاد مناطق عازلة بين المدينة / البصرة الاقتصادية ومع المناطق العديدة وخاصة تلك الشمالية بفعل عوامل سياسية ((مناطق تنازع حسب الإدعاء والصناعة للإكراه)) .
- فصل اقتصاد المدينة وفعاليتها المؤثرة وتحويل الكثير من الفعاليات الاقتصادية إلى مناطق بديلة أخرى خارج سيطرة وإدارة الحكومة المحلية وبمبررات منها أمنية ومنها سياسية ... الخ.
- أما سوق المدينة (الموصل) خصوصاً عطلت وبشكل كبير إلى درجة الركود المالي والسلعي وانخفضت الأنشطة التجارية والصناعية المحلية لتتحول الحركة إلى مناطق أخرى خارج إطار المدينة التجاري / السلعي ملتقحة بسوق العراق عموماً في الركود .
- حولت أسواق الموصل الاستراتيجية مثل سوق اليااسات ، الصناعة القديمة وسوق المعاش وسوق تجارة المواشي ومعارض السيارات إلى منطقة مواجهات عسكرية وآثار التدمير مازالت قائمة وواضحة من خلال صور وحالات التدمير والهدم لهذه الأسواق إلى حد هذه اللحظة .
- شلت الأسواق الرئيسية الأخرى بوسائل عديدة منها التفجيرات التي طالتها وعدم توفير الأمن لتجارتها ومحلاتها حيث تعرضوا إلى شتى الوسائل من الخطف والقتل والتهديد بفعل انتشار عصابات منظمة داخل هذه الأسواق .
- تعطل مصانع المدينة التي كانت تقدم الكثير من السلع إلى المدينة والفائض إلى التصدير مثل معمل السكر والألبان والألبسة الجاهزة والنسيج والأخشاب ... الخ لتتحول بعضها إلى القطاع الخاص والآخر إلى الخصخصة والآخر إلى الغلق لأسباب فنية لعدم توفر المواد الأولية أو الطاقة المشغلة لها من وقود وطاقة كهربائية .

١- إن من أهم ركائز الهوية العراقية هو مجتمعه الأهلي / المدني والذي يستمد قوته من مصدره ومكمنه المجتمع العراقي .

٢- حاولت قوة الاحتلال وبسلطتيه العسكرية والمدنية التغلغل في المجتمع العراقي وتفكيك هويته من خلال ضرب ركائزه التي تعتمد عليه من المجتمع الاهلي والمدني العراقي بشكل عام وبنينوى بشكل خاص .

٣- أن سلطة الاحتلال قصدت الركائز الاهلية / المدنية الجامعة منها المحلة اجتماعياً ، المسجد قيمياً ، السوق اقتصادياً ، ذلك من خلال الضغط عليها وحصرها وعزلها وتفكيكها لغرض تعطيلها عن فعلها الاجتماعي غايةً في تفكيك هويتها الجامعة عراقياً .

٤- بالمقابل وكردة فعل طبيعي أزاء هذا الفعل التفكيكي للاحتلال وسلطته حافظه هذه الركائز على سمتها وتماسكها من خلال إيجاد البدائل المتاحة غاية للمحافظة على التكوين الاجتماعي العراقي وهويته .

١٢- التوصيات :-

١- التأكيد على الهوية العراقية كحاجة ماسة من خلال تقوية وتفعيل ركائزها وتنظيماتها الاجتماعية مثل الاسرة والمحلة اجتماعياً ، الجامع قيمياً ، السوق اقتصادياً .

٢- التأكيد على السمات الأصلية للثقافة والهوية العراقية من خلال تفعيل مجتمعه الأهلي والمدني الخاص بالمجتمع العراقي ومنها نينوى كأنموذج محلي .

٣- مكافحة كل ما جاء به الاحتلال من ظواهر مفروضة والتي حاولت تشويه وتفكيك الهوية العراقية وركائزها المدنية والاهلية .

الهوامش والمصادر

١- ميكافيلي . الامير ، تراث الفكر السياسي قبل الامير وبعده ، تحقيق فاروق سعد ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ٢٠٠٢ ، ص ٧٧ .

٢- خليل احمد خليل ، معجم المصطلحات الفلسفية ، ج ٢ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٢٠١ .

٣- إبراهيم عبد الله غلوم ، مجلة عالم الفكر ، المجلد / ٢٧ ، العدد / ٣ ، يناير مارس ، ١٩٩٩ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٨٤ - ٨٥ .

- ٤- شارلوت سيمور ، موسوعة علم الإنسان ، ط ٢ ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٥٣ .
- ٥- خليل احمد خليل ، معجم المصطلحات الاجتماعية ، ج ٢ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٣٥٢ .
- ٦- المصدر نفسه أعلاه ، ص ٤٦٦ .
- ٧- توفيق المدني ، المجتمع المدني والدولة والسياسة في الوطن العربي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ص ٣٨ - ٦٧ .
- ٨- حسين درويش العادلي ، إدارة المجتمع والدولة ، مجلة الإسلام والديمقراطية ، العدد / ١١ ، السنة الثانية ، منظمة الإسلام والديمقراطية ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٠ .
- ٩- هيثم مناع ، الإمعان في حقوق الإنسان ، موسوعة مختصرة ، ج ٢/٢ ، دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣ .
- ١٠- عبد الله بلقرز ، في الديمقراطية والمجتمع المدني في افريقيا الوسطى ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١ ص ٢٢ .
- ١١- حسن جاسم راشد ، ممارسة السياسة في مجتمع مدني ، دراسة ميدانية لمنظمات المجتمع المدني العراقية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاجتماع ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨ .
- ١٢- صدر العديد من المؤلفات بصد هذه الافكار منها :- حنا بطاطو . العراق وبأجزائه الثلاثة حفريات اثنية ، ديناميكية النزاع في العراق ، ترجمة حسين ابن حمزة ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ٢٠٠٧ . و :- بريتي تانيجا ، صهر ونزوح واستئصال جماعات الاقليات في العراق ، ترجمة عبد الإله النعيمي ، دراسات عراقية ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- ١٣- حارث علي حسن ، العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة الموصلية ، دراسة اجتماعية انتريولوجية ، مجلة دراسات موصلية ، مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل ، العدد (٢٠) لسنة ٢٠٠٨ ، ص ٨٣ .
- ١٤- غي روشيه ، الفعل الاجتماعي " سلسلة مدخل إلى علم الاجتماع العام " ترجمة : د. مصطفى دندشلي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٨٨ .
- ١٥- المصدر نفسه أعلاه . ص ٨٩ - ٩٤ .
- ١٦- دون أي ، ايببرلي ، بناء مجتمع من المواطنين ، المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة هشام عبد الله ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٨٧-٤١٦ .

- College of Basic Education Researchers Journal. ISSN: 7452-1992 Vol. (17), No.(4), (2021)
- ١٧- هند عبد الله احمد , المسجد دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل , رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب , جامعة الموصل , ٢٠٠٦ نتائج الدراسة , ص ٦٢ - ٦٦ .
- ١٨- موفق ويسى محمود , الاحتلال والمقاومة , دراسة سوسيوانثربولوجية في مدينة عراقية , بحث مقبول للنشر , مجلة آداب الرافدين , كلية الآداب جامعة الموصل , ٢٠١٢ , ص ٦-٩ .
- ١٩- هند عبد الله احمد , المسجد.. مصدر سابق , ص ١٢١ - ١٢٢ .
- ٢٠- شفيق إبراهيم صالح الجبوري , الأسواق الشعبية في مدينة كركوك , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٩٤ , ص ١٤١ - ١٤٢ .
- ٢١- حسن جاسم راشد , مصدر سابق , ص ١٥٧ - ١٦٧ .
- ٢٢- طلعت إبراهيم لطفي , اثر الحضرية في جماعات الجيرة , المجلة العربية للعلوم الإسلامية , مطابع دار الوطن الكويت (التاريخ بلا) ص ٩٣ .
- ٢٣- حارث علي حسن , دراسات سوسيوانثربولوجية , دار غيداء , عمان ٢٠١٢ , ص ٧٩ .
- ٢٤- دون أي , ايببرلي , مصدر سابق ص ٣٩٢ .
- ٢٥- حارث علي حسن , الحياة الاجتماعية في إطار البيت التقليدي في الموصل , مجلة دراسات موصلية , مركز الدراسات الموصل , جامعة الموصل , العدد/ ١٨ , ٢٠٠٧ , ص ١٥٢ .
- ٢٦- محمد محمود احمد , التعايش السلمي للأسر المتجاورة ذات الثقافات المتعددة , دراسة ميدانية في قضاء تلكيف / محافظة نينوى , مجلة دراسات موصلية , مركز دراسات الموصل جامعة الموصل . العدد (٣٤) - أيلول ٢٠١١ .
- ٢٧- برهان غليون . بناء المجتمع العربي المدني , ورقة مقدمة الى ندوة ومناقشات مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ١٩٩٢ , ص ١٢٠ .
- ٢٨- ثناء محمد صالح , المجتمع المدني في العراق , مجلة اداب الرافدين , العدد (١/٤١) ٢٠٠٥ , ص ١٨٧ .
- ٢٩- الطيب تيزيني , ثلاثية الفساد وقضايا المجتمع المدني , مجلة قضايا في الفكر العربي المعاصر دار جعفر للدراسات , دمشق ٢٠٠١ , ص ٨٦ .
- ٣٠- الفضائية الموصلية تقرير تلفزيوني عن مقابلة رجال الدين لمدينة الموصل مع محافظ نينوى والحكومة المحلية , الشهر الرابع في سنة ٢٠٠٥ .
- ٣١- محمد محمود احمد التعايش السلمي , مصدر سابق , الجانب الميداني من الدراسة.

**٣٢-مقابلة مع السيد مدير غرفة تجارة الموصل ، الشهر السادس في سنة
٢٠٠٤ م .**